وفي سوق أخبار هؤلاء الرسل والأنبياء تفصيل أيضا لما بنيت عليه السورة من قوله تعالى (وما أرسلنا قبلك إلا رجالا يوحى إليهم) الآيات ثم قوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا يوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) ثم قوله تعالى (قل إنما أنذركم بالوحي) . واتصالها بجميع ذلك اتصال محكم ولذلك أعقبت بقوله تعالى (وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون) .

وابتدئ بذكر موسى وأخيه مع قومهما لأن أخبار ذلك مسطورة في كتاب موجود عند أهله يعرفهم العرب ولأن أثر إتيان موسى " عليه السلام " بالشريعة هو أوسع أثر لإقامة نظام أمة يلي عظمة شريعة الإسلام .

وافتتاح القصة بلام القسم المفيدة للتأكيد لتنزيل المشركين في جهل بعضهم بذلك وذهول بعضهم عنه وتناسي بعضهم إياه منزلة من ينكر تلك القصة .

ومحل التنظير في هذه القصة هو تأييد الرسول A بكتاب مبين وتلقي القوم ذلك الكتاب بالإعراض والتكذيب .

والفرقان A E : ما يفرق به بين الحق والباطل من فعل أو كلام وقد سمى ا يوم تعالى الفرقان بدر يوم الفرقان لأن فيه كان مبدأ ظهور قوة المسلمين ونصرهم فيجوز أن يراد بالفرقان التوراة كقوله تعالى (وآتيناهما الكتاب المستبين) في سورة الصافات .

والإخبار عن الفرقان بإسناد إتيانه إلى ضمير الجلالة للتنبيه على أنه لم يعد كونه إيتاء من ا تعالى ووحيا كما أوتي محمد A القرآن فكيف ينكرون إيتاء القرآن وهم يعلمون أن موسى " عليه السلام " ما جاء إلا بمثله . وفيه تنبيه على جلالة ذلك الموتى .

ويجوز أن يراد بالفرقان المعجزات الفارقة بين المعجزة والسحر كقوله تعالى (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين) في سورة غافر . ويجوز أن يراد به الشريعة الفارقة بين العدل والجور كقوله تعالى (وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون) في سورة البقرة .

وعلى الاحتمالات المذكورة تجيء احتمالات في قوله تعالى الآتي (وضياء وذكرا للمتقين) . وليس يلزم أن تكون بعض هذه الصفات قسيما لبعض بل هي صفات متداخلة فمجموع ما أوتيه موسى وهارون تتحقق فيه هذه الصفات الثلاث .

والضياء : النور . يستعمل مجازا في الهدى والعلم وهو استعمال كثير وهو المراد هنا وقد قال تعالى : (إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور) في سورة المائدة .

والذكر أصله : خطور شيء بالبال بعد غفلة عنه . ويطلق على الكتاب الذي فيه ذكر ا .
فقوله تعالى (للمتقين) يجوز أن يكون الكلام فيه للتقوية فيكون المجرور باللام في معنى المفعول أي الذين اتصفوا بتقوى ا أي امتثال أوامره واجتناب ما نهى عنه لأنه يذكرهم بما يجهلون وبما يذهلون عنه مما علموه ويجدد في نفوسهم مراقبة ربهم . ويجوز أن يكون اللام للعلة أي ذكر لأجل المتقين أي كتاب ينتفع بما فيه المتقون دون غيرهم من الضالين .
ووصفهم بما يزيد معنى المتقين بيانا بقوله تعالى (الذين يخشون ربهم بالغيب) وهو على نحو قوله تعالى (هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب) في سورة البقرة .
والباء في قوله تعالى (بالغيب) بمعنى (في) . والغيب : ما غاب عن عيون الناس أي يخشون ربهم في خاصتهم لا يريدون بذلك رياء ولا لأجل خوف الزواجر الدنيوية والمذمة من الناس .
والإشفاق : رجاء حادث مخوف . ومعنى الإشفاق من الساعة : الإشفاق من أهوالها فهم يعدون لها عدتها بالتقوى بقدر الاستطاعة .
وفيه تعريض بالذين لم يهتدوا بكتاب ا تعالى بدلالة مفهوم المخالفة لقوله تعالى (الذين يخشون ربهم بالغيب) . فمن لم يهتد بكتاب ا فليس هو من الذين يخشون ربهم بالغيب وهؤلاء هم فرعون وقومه .
وقد عقب هذا التعريض بذكر المقصود من سوق الكلام الناشئ هو عنه وهو المقابلة بقوله تعالى (وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون) .
واسم الإشارة يشير إلى القرآن لأن حضوره في الأذهان وفي التلاوة بمنزلة حضور ذاته .
ووصفه القرآن بأنه ذكر لأن لفظ الذكر جامع لجميع الأوصاف المتقدمة كما تقدم عند قوله تعالى (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم) في سورة النحل